

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد القديس الرسول يعقوب أخى الرب أول رؤساء أساقفة أورشليم 2016-11-5

يقول القديس يعقوب أخو الرب "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي
يَحْتَمِلُ التَّجَرُّبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنْتَهِ
«إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ
يُحِبُّونَهُ". (يعقوب 1: 12)
أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،
أيها المسيحيون الزوار الأتقياء،

لقد دعنا كنيسةنا المقدسة جميعنا إلى هذا الهيكل وهذه الكنيسة
المقدسة التي تحمل اسم القديس يعقوب أخى الرب وهذه الكنيسة التي
تقع بالقرب من قبر ربنا ومخلصنا يسوع المسيح القابل للحياة، لكي
نُعْظِمُ بالأناشيد الشريفة كلنا كوكب الكنيسة وأول راعٍ ومعلمٍ
لأورشليم فقد كان رئيس كهنة وكاروزاً إلهياً وقد لُقِبَ بالصدِّيق
تلميحاً بصفته.

ولقد استبان القديس يعقوب كما هو معروف من ربنا يسوع أول رئيس
كهنة لأم جميع الكنائس كنيسة أورشليم ويعتبر مع بطرس الرسول
والقديس يوحنا الإنجيلي بأنه أحد الأعمدة الثلاثة للكنيسة الأولى.
ولأجل عظم بره وصلاحه، لم يُدْعَ فقط أخو الرب بل عُرفَ بالبار
أيضاً.

وأما من ناحية إيمانه المسيحي والكراسة به فقد كتب القديس
بوحى إلهي رسالته الجامعة والتي تحدّث فيها عن أهمية الصبر في
المسيح قائلاً: "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ
التَّجَرُّبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنْتَهِ
«إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ
يُحِبُّونَهُ". (يعقوب 1: 12)

وإن أردنا أن نسهب نقول، مغبوط ذلك الرجل الذي يطيق أن يحتمل بصبر وجلادة التجارب والأحزان. ولماذا هو مغبوط؟ لأنه من خلال التجارب يصير ثابتاً ومُختَبِراً ومُتَدَرِّباً لذا فهو سينال الحياة الأبدية وإكليل المجد والبهاء الذي وَعَدَ به الرب لأولئك الذين يحبونه لذلك فإنَّ القديس بولس الرسول يقول " نَفْتَخِرُّ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُّ أَيْضًا فِي الضَّيِّقَاتِ، عَالَمِينَ أَنَّ الضَّيِّقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَّةً، وَالتَّزْكِيَّةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ قَدْ انْصَبَّ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا". (رومية 5 : 2-5).

لقد أظهر صديقا المسيح، القديس يعقوب أخو الرب تماما كالرسول بولس الحكيم، صبرهما على الأحزان والتجارب وقد بَدَّنا هذا الأمر وأثبتناه بقوةٍ لذلك كان لديهما فضيلة ودالة كبيرة أمام الله. ولهذا نجد القديس يعقوب أخي الرب يحث المؤمنين في مستهل رسالته الجامعة على الصبر قائلا: " اِحْسَبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ يَأْتِي خَوَاتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُتَذَوِّعَةٍ، عَالَمِينَ أَنَّ امْتِحَانًا إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلَا يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ". (يعقوب 1: 2-4) عدا عن هذا فإن الرب يسوع المسيح قد أوضح لنا فائدة الصبر العظيمة قائلا: " بِصَبْرِكُمْ أَقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ". (لوقا 21: 19) لذلك فإن بصبركم تربحون وتخلصون نفوسكم من مخاطر الكفر والهلاك الأبدي. وبمعنى آخر فإن الصبر يشبه النار التي تَمْتَخِنُ الذهب وتنقيه لذلك فإن الناس أو البشر يصبحون مقبولين أمام الله عندما يدخلون في أَتُونِ التواضع أي الصبر في الشدائد والأحزان كما تقول حكمة سيراخ: " فَإِنَّ الذَّهَبَ يُمْتَخِنُ فِي النَّارِ، وَالْمَرْضِيُّينَ مِنَ النَّاسِ يُمْتَخِنُ فِي أَتُونِ الْاضْطَاعِ. (2: 5) ويقول في موضعٍ آخر وَيَلُ لَكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ فَقَدُوا الصَّبْرَ، فَمَاذَا تَصْنَعُونَ يَوْمَ افْتِقَادِ الرَّبِّ؟". (2: 14) وعلى العكس من ذلك " إِنَّ الْمُتَقِينَ لِلرَّبِّ يُهَيِّئُونَ قُلُوبَهُمْ، وَيُخْضِعُونَ أَمَامَهُمْ نَفْسَهُمْ، لِنَقَعٍ فِي يَدَيِ الرَّبِّ لَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، لِأَنَّ رَحْمَتَهُ عَلَى قَدَرٍ عَظَمَتِهِ (2: 17-18)

يُطَوِّبُ القديس يعقوب الصابرين مُبِينًا لَنَا مِثَالًا من الأنبياء هو القديس النبي أيوب "خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالًا لاحتِمَالِ

الْمَشَقَّاتِ وَالْأَزَاةِ: الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا
بِاسْمِ الرَّبِّ. هَذَا زَحْنُ زُطُوبِ الصَّابِرِينَ. قَدْ
سَمِعْتُمْ بِصِدْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ.
لَأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَرَوْوْفٌ. (يعقوب 5:
10-11).

إنَّ هذه الذكرى السنوية لعيد استشهاد قديس محبة المسيح والكارز
به القديس يعقوب أخى الرب فى مكان منشئه وعمله الرسولى
وموته الاستشهادى، يدعونأ أيها الإخوة الأحياء بحسب القديس بولس
الرسول "لكي نَمَتَلِّئَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فِي
كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ لِنَسْلُكُ كَمَا يَحِقُّ
لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رَضَى، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ
صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ" (كولسي 1: 9-10).

لهذا فإن كنيسة أورشليم قد دُعِيَتْ تحديداً وعلى وجه الدقة لما
يذكره القديس بولس الرسول "لأنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى
مُخَلِّصِنَا اللَّهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ
يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ". (1
2: 4). من خلال أول أساقفة أورشليم القديس يعقوب أخى الرب ومن
خلال أخوية القبر المقدس والذين يحيون معها بتقوى ومحبة المسيح
الذين يبشرون بالمسيح المصلوب والناهض من بين الأموات.

ختاماً نضع إلى سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم أم
الذي خلق العالم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ونمجده، ومع المرنم
نهتف قائلين: لقد استنرت بشعاع الروح القدس الناري يا يعقوب أخى
الربِّ. فظهرت غيوراً على حسن العبادة الهيا. ومن ثمَّ فالذي
اقتبلك أخاً له ألبسك نظير هارون في القديم حلَّةً أعظم كرامةً
من حلَّة الكهنوت الناموسي. فتضرَّع إليه أيها المجيد في الرسل
من أجل خلاص نفوسنا.